

وبعد فيا أهل الشهداء.. الصبر.. الصبر.. إن دموع العالم الإسلامي كله قد مازجت دموعكم وقلوبهم جميعاً قد قاسمت بالأسى قلوبكم، ولكم أخ لكم وصديق ومأمكم صار مأمم دنيا الإسلام كلها.. والله معكم خيراً من الجميع.. ولن يفلت سفاح مصر من الانتقام.. والمنتقم هو الله^(١).

* الشيخ القرضاوي صاحب الملحمة النونية:

هو صاحب المواقف المشكورة في الدفاع عن قضايا المسلمين، وكل يؤخذ من قوله ويترك، وله القلم السيل في تصوير مآسي المسلمين، وهو صاحب النونية وهي ملحمة ألفت داخل السجن الحربي في القاهرة عام ١٩٥٥م، هذه الملحمة التي تقدمها بين يدي القارئ - تحكي قصة سجين قضى نحو عشرين شهراً في سنوات ٥٤، ٥٥، ١٩٥٦م، في السجن الحربي. إنها تصوير بسيط لبعض ما قاساه المسلمون الذين عذبوا في هذا السجن الرهيب. لقد ألف الشاعر هذه القصيدة، أو الملحمة، في ظروف عصيبة داخل السجن الحربي؛ حيث لم يكن يسمح لأي معتقل بأن يبقي معه ورقة أو قلماً؛ ولهذا كان الاعتماد في تسجيلها عقب تأليفها على حفظ الصدور، لا على كتابة السطور؛ فقد حفظها عدد كبير من الشباب داخل السجن، فكانوا لها رواة، ونقلها بعضهم خارج مصر بعد مغادرة السجن. فلنقرأ هذه الوثيقة التاريخية التي سجلت، بأمانة ودقة، جزءاً أسود من جرائم الطاغية ضد الحركة الإسلامية^(٢).

تَارَ الْقَرِيضُ بِخَاطِرِي قَدَعُونِي
أَقْضِي لَكُمْ بِفَجَائِعِي وَشَجُونِي
فَالشُّعْرُ دَمْعِي حِينَ يَعْضِرُنِي الْأَسَى
وَالشُّعْرُ عُوْدِي يَوْمَ عَزَفَ لُحُونِي

(١) «عرس الشهداء» لعلي الظنطاري (ص ١٩ - ٢٨) - دار المنار الحديثة.

(٢) «شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث» الجزء الثالث، أحمد الجدع، حسني جزار.

ط ٤ - مؤسسة الرسالة، (ص ١٨ - ٣٦).

تُشجِي الْقُلُوبَ بِلِحْنِهَا الْمَحْزُونِ؟
تُتَلَّى عَلَيَّ الْأَجْيَالِ بَعْدَ قُرُونِ
مَا دُمْتُ أَبْغِيهِ وَلَا يَبْغِينِي؟!
طَرَبًا إِلَى الْإِنْسَادِ وَالْتَلْحِينِ
وَيَمُدُّهَا قَلْبِي وَمَاءُ عَيْونِي
أَبَدًا فَكَدْتُ يُقَالُ لِي «ذُو النُّونِ»
وَتَرَكْتُ لِلْأَيَّامِ مَا يُعِينِي
بِغَرَائِبِ الْأَحْدَاثِ مَا يُغْنِينِي
مِصْرٌ بِلَا خُلُقٍ وَلَا قَانُونِ
حَتَّى تَرَحَّمْنَا عَلَى «نِيرُونِ»!
قِصَصٌ مِنَ الْأَهْوَالِ ذَاتُ شُجُونِ
وَتَوَلَّى عَن دُنْيَاكَ حَتَّى حِينِ
تَسْمُو عَلَى التَّصْوِيرِ وَالتَّيْبِينِ
بَلْ خَطَبُ هَذَا الْمَشْرِقِ الْمَسْكِينِ
فَزَعْتُ مِنْ نَوْمِي لِصَوْتِ رَيْنِ
وَتَحْوِطُنِي عَن شَمَالٍ وَيَمِينِ
فَرَحًا بِصَيْدٍ لِلطَّغَاةِ سَمِينِ
وَقُدِفْتُ فِي قَفْصِ الْعَذَابِ الْهُونِ
مِنْ بَاعِثٍ لِلرُّعْبِ قَدْ طَرَحُونِي

كَمْ قَالَ صَحْبِي أَيْنَ غُرُّ قِصَائِدِ
وَتَخَلَّدُ الذِّكْرَى الْأَلِيمَةَ لِلوَرَى
مَا حِيلَتِي وَالشَّعْرُ فَيُضُّ خَوَاطِرِي
وَالْيَوْمَ عَاوَدَنِي الْمَلَاكُ فَهَزَنِي
أَلْهَمْتُهَا عِصْمَاءَ تَتَّبِعُ مِنْ دَمِي
نُونِيَّةً وَالنُّونُ تَحْلُو فِي قَمِي
صَوَّرْتُ فِيهَا مَا اسْتَطَعْتُ بِرِيشَتِي
مَا هَمَّتُ فِيهَا بِالْخَيْالِ فَإِنَّ لِي
أَحَدْتُ عَهْدَ عِصَابَةِ حَكَمُوا بَنِي
أُنْسَتْ مِظَالِمُهُمْ مِظَالِمَ مَنْ خَلَوْا
يَا سَائِلِي عَن قِصَّتِي، اسْمَعْ إِنَّهَا
أَمْسِكَ بِقَلْبِكَ أَنْ يَطِيرَ مُفْزَعًا
قَالَهَوُلُ عَاتٍ وَالْحَقَائِقُ مَرَّةً
وَالْخَطْبُ لَيْسَ بِخَطْبِ مِصْرٍ وَحَدَّهَا
فِي لَيْلَةٍ لَيْلَاءَ مِنْ نَوْفَمِيرِ
فَإِذَا «كِلَابُ الصَّيْدِ» تَهْجُمُ بَغْتَةً
فَتَخَطَّفُونِي مِنْ دَوِيٍّ وَأَقْبَلُوا
وَعَزَلْتُ عَن بَصْرِ الْحَيَاةِ وَسَمِعَهَا
فِي سَاحَةِ «الْحَرْبِيِّ»^(١) حَسْبُكَ بِاسْمِهِ

(١) السجن الحربي: سجن عسكري بناه الإنجليز في عهد الاحتلال؛ ليودع فيه الجنود الذين يخالفون القوانين العسكرية، وهذا السجن هو في الواقع مجموعة سجون أو أقسام، في

مَا كَدْتُ أَدْخُلُ بَابَهُ حَتَّى رَأَتْ
 فِي كُلِّ شِبْرِ لِلْعَذَابِ مَنَاطِرُ
 فَتَرَى الْعَسَاكِرَ وَالْكَلابَ مُعَدَّةً
 هَذِي تَعْضُ بِنَابِهَا وَزَمِيلَهَا
 وَمَضَتْ عَلَى دَفَائِقُ وَكَانَهَا
 يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا دَهَانَ؟ وَمَا جَرَى؟
 عَجَبًا أَسَجَنُ ذَاكَ أَمْ هُوَ غَابَةٌ؟
 أَرَى بِنَاءً أَمْ أَرَى شَقِي رَحِي

= كل قسم عدد من الزنازين، بعضها يبلغ المئات، والزنازة غرفة ضيقة محكمة ليس بها إلا نافذة صغيرة عالية قرب السقف، وهي مطلية بطلاء قاتم، وقد أعدت لتكون سجنًا انفراديًا. . . ولكن كثرة المعتقلين الهائلة جعلت جنود عبدالناصر يودعون في الزنازة الواحدة سبعة أو ثمانية، بل عشرة في بعض الأحيان، هذا بالإضافة إلى سجون القلعة، وقرية ميدان، وطرة، والقناة، والواحات، وغيرها. . . وقد أصبح السجن الحربي بين هذه السجون علمًا على التعذيب الوحشي؛ حتى أصبح مجرد ذكر اسمه يثير الرعب، وعلى أرضه قتل العشرات من المعتدين. وأخيرًا، وبعد أن أخذ القضاء في مصر شيئًا من الحرية، أصدرت محكمة جنوب القاهرة في قضية واحدة من قضايا التعذيب، بتاريخ ٣٠ مارس ١٩٧٥، مجموعة أحكام؛ فقد قررت المحكمة تعويض المستشار على جريشة بمبلغ ثلاثين ألف جنيه، يدفعها شمس بدران وزير الحرية السابق، وورثة حمزة البسيوني قائد السجن الحربي، وورثة اللواء سعد زغلول عبدالكريم قائد الشرطة العسكرية، والعقيد حسن خليل، والرائد حسن كفاقي، والملازم أشرف صفوت الزويبي.

وطالبت المحكمة رئيس الجمهورية بهدم وإزالة السجن الحربي؛ باعتباره شاهدًا على إذلال الشعب وتعذيب أبنائه، واعتبرت المحكمة هذه الأحكام بلاغًا إلى المدعي العام ضد أربعة وزراء عدل سابقين؛ وهم: بدوي حمودة، وعصام الدين حسونة، ومحمد أبو نصير، ومصطفى كامل إسماعيل، بتهمة التواطؤ والتستر على جرائم التعذيب والإذلال، وأعلن القضاء براءة البلاد من كل من أسهم في إذلال الشعب، وتعذيب أفرادها بصورة أو بأخرى.

أَمْ تِلْكَ دَارُ خِيَالَةٍ وَفُتُونِ؟
أَأَشْكُ فِي ذَاتِي وَعَيْنِ يَقِينِي؟
تَحْوِي الْفُصُولُ السُّودُ مِنْ مَضْمُونِ؟

وَاهَا!! أَفِي حُلْمٍ أَنَا أَمْ يَقْظَةٍ
لَا، لَا أَشْكُ، هِيَ الْحَقِيقَةُ حَيَّةٌ
هَذِي مُقَدِّمَةُ الْكِتَابِ فَكَيْفَ مَا

تَدْعُو إِلَى التَّحْرِيرِ وَالتَّكْوِينِ؟
وَتَخَصَّصُوا فِي فَنِّهِ الْمَلْعُونِ
وَأَكْفَهُمُ لِلشَّرِّ ذَاتُ حَنِينِ
كُلُّ أَدَاةٍ فِي يَدِي مَأْفُونِ
عَثَرُوا عَلَيَّ كَنْزِ لَدَيْكَ تَمِينِ
وَبِكُلِّ أُسْلُوبٍ خَسِيسٍ دُونِ
فِي عَقْلِ سُقْرَاطٍ وَأَفْلَاطُونِ
فِي زُهْدِ عَيْسَى أَوْ تَقَى هَارُونِ
وَالظُّهْرُ مِنْهُ تَرَاهُ كَالْعَرَجُونِ
زَادُوا أَدَاهُ بِقَسْوَةٍ وَجُنُونِ
أَمْ هُمْ مَلَاعِينُ بَنُو مَلْعُونِ؟
مِنْ مِثْلِ مَحْمُودٍ وَمِنْ يَاسِينِ؟
وَحَمَادَةَ وَعَظِيَّةً وَأَمِينِ^(١)

هَذَا هُوَ «الْحَرْبِيُّ» مَعْقِلُ ثَوْرَةٍ
فِيهِ زَبَانِيَّةٌ أُعِدُّوا لِلأَدَى
مُتَبَلِّدُونَ عَقُولَهُمْ بِأَكْفَهُمْ
لَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ سَيَاطِهِمْ
يَتَلَقَّفُونَ الْقَادِمِينَ كَأَنَّهُمْ
بِالرُّجْلِ، بِالْكَرْبَاجِ، بِالأَيْدِ، بِالعَصَا
لَا يَقْدِرُونَ مُفَكِّرًا وَلَوْ أَنَّهُ
لَا يَعْبُونَ بِصَالِحٍ وَلَوْ أَنَّهُ
لَا يِرْحَمُونَ الشَّيْخَ وَهُوَ مُحَطَّمٌ
لَا يُشْفِقُونَ عَلَى المَرِيضِ وَطَالَمَا
أَتَرَى أَوْلَيْكَ يَنْتَمُونَ لِأَدَمِ
تَاللَّهِ، أَيْنَ الأَدَمِيَّةُ مِنْهُمْ؟
مِنْ جَوْدَةٍ أَوْ مِنْ دِيَابِ وَمُصْطَفَى

(١) هذه أسماء بعض زبانية العذاب في السجون في سنوات ٥٤، ٥٥، ١٩٥٦م، وقد كانوا يُختارون من الجنود الفسقة القساء، المعروفين بمبولهم الإجرامية، ثم يحشون رءوسهم بمعلومات كاذبة عن الإخوان، ويغرونهم بمكافآت مادية باهظة، وعلاوات استثنائية، سُميت «علاوة إجرام»، وكلما زاد أحدهم في إجرامه ووحشيته انهالت عليه الترفقيات والعلاوات والمكافآت.

لا دين فيهم غير سب الدين!
لا خوف شعب لا حمى قانون
قانوننا هو «حمزة البسيوني»^(١)
سموه زوراً قائداً لسجون!
مستكبر القسمات والعزبين
نفساً معقدة وقلب لعين
في الشر متفوع، به معجون
تدعو إلى التطوير والتحسن!
في ضيقها وضعابها الملعون
صوراً تذكّرنا بيوم الدين
من فيض إيمان وبرد يقين

لا تحسبوهم مسلمين من اسمهم
لا دين يردع لا ضمير محاسب
من ظن قانوننا هناك فإنما
جلاد ثورتهم وسوط عذابهم
وجه عبوس قمطير^(٢) حاقد
في خده شح ترى من خلفه
متعطش للسوء، في الدم والغ
هذا هو الحرابي معقل ثورة
هو صورة صغرى استعيرت من لظى
هو مصنع للهول كم أهدى لنا
هو فتنة في الدين لولا نفحة

* * *

بتخلف التصنيع والتعدين
في صنعة التعذيب والتفريق!!
في العرض والإخراج والتلوين
حتى يرى في هيئة «البألون»؟

قل للعواذل إن رميتم مصرنا
مصر الحديثة قد علت وتقدمت
وتفنتت - كي لا يحمل معذب -
أسمعت بالإنسان ينفخ بطنه

(١) حمزة البسيوني: ضابط كان برتبة مقدم «بكباش» عام ١٩٥٤، وهو قائد السجون الحربية حينذاك، وبقي قائداً لها في هذه المنحة. هذا الضابط المأفون يحمل في صدره قلب وحش، وفي يده كريات جلاذ، وبين فكيه لسان «شرشوح» لا دين له ولا خلق، قال مرة للإخوان: «هاتوا لي رنكم وأنا أحطه في رنزانة»، لعنه الله. والجدير بالذكر أنه طرد من الجيش في مطلع الثورة أيام حملات التطهير، ثم أعاده عبدالناصر خصيصاً لتعذيب الإخوان.

(٢) قمطير: مقبض ما بين العينين لشدته.

بِالطَّرْقِ حَتَّى يَنْتَهِي لِجُنُونٍ
 نَارًا وَقَدْ صَبَّغُوهُ «بِالْفَزْلَيْنِ»؟
 حَتَّى يَقُولَ: أَنَا الْمُسِيءُ خُدُونِي!
 رَبَّاهُ عَدْلَكَ، إِنَّهُمْ قَتَلُونِي!!
 مِثْلِي، وَلَا يُنْبِئُكَ مِثْلُ سَجِينِ
 كَمَ مِنْ كَسِيرٍ فِيهِ أَوْ مَطْعُونِ
 حَتَّى غَدَّتْ حُمْرًا بِلَا تَلْوِينِ
 كَمَ مِنْ جَرِيحٍ عِنْدَهَا وَطَعِينِ
 سَقَطُوا مِنَ التَّعْذِيبِ وَالتَّوْهِينِ
 فَنُ الْعَذَابِ وَصَنَعَةَ التَّلْقِينِ
 حِينَ، وَهَذَا الزَّمْهَرِيرُ بِحِينِ
 أَوْ شِبْهَ عَارٍ فِي شِتَا كَانُونِ
 أَوْ لَا قَوِيلَ مُخَالَفٍ وَحَرُونِ
 كَمَ مِنْ شَهِيدٍ فِي التَّلَالِ دَفِينِ^(١)
 لَا بِالرُّصَاصِ وَلَا الْقَنَا الْمَسْنُونِ

أَسْمَعْتَ بِالْإِنْسَانِ يُضْفَعُ رَأْسُهُ
 أَسْمَعْتَ بِالْإِنْسَانِ يُشْعَلُ جِسْمُهُ
 أَسْمَعْتَ مَا يُلْقَى الْبَرِيءُ وَيَصْطَلِي
 أَسْمَعْتَ بِالْأَهَاتِ تَخْتَرِقُ الدُّجَى
 إِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْمَعْ فَسَلْ عَمَّا جَرَى
 وَأَسْأَلُ ثَرَى «الْحَرَبِيِّ» أَوْ جُدْرَانَهُ
 وَسَلِ السَّيَاطِ السُّودَ كَمْ شَرِبَتْ دَمًا
 وَسَلِ «الْعَرُوسَةَ» قُبِحَتْ مِنْ عَاهِرِ
 كَمْ فِتْيَةٌ زُفُوا إِلَيْهَا عُنُودًا
 وَأَسْأَلُ «زَنَازِينَ» الْجَلِيدِ تُجَبِّكَ عَنْ
 بِالنَّارِ أَوْ بِالزَّمْهَرِيرِ فَتَلْكَ فِي
 يُلْقَى الْفَتَى فِيهِ لِيَالِي عَارِيًا
 وَهَنَّاكَ يَمْلِي الإِعْتِرَافَ كَمَا اسْتَهَوَا
 وَسَلِ «الْمُقَطَّمِ» وَهُوَ أَعْدَلُ شَاهِدِ
 قَتَلْتَهُ طُعْمَةً مِصْرَ أَبْشَعَ قِتْلَةً

(١) يظن بعض الناس أن شهداء الإخوان الذين قتلهم عبدالناصر هم الستة الذين شنقوا علنا بحكم المحكمة الهزلية، التي سُميت زورا «محكمة الشعب»، والحقيقة أن شهداء الإسلام الذين قُتلوا في العهد الناصري في مصر كثيرون جداً، يكفي أن تضيف إليهم ٢٤ شهيداً أطلقت عليهم المدافع الرشاشة داخل سجن ليمان طرة، مع أنهم سجناء، والتحقيقات التي أجريت في السجن الحربي أدت إلى مقتل خمسة وتسعين من الإخوان تحت سياط الزبانية المتوحشين، وأدوات التعذيب، وأساليبه التي نقلوها من خبراء النازية والشيوعية؛ ومن هؤلاء الذين سقطوا صرعى العذاب: محمود يونس، وحسين شعبان، والشيخ محمد الديب، ومحمد عطوة، وعلي الخولي، ومحمود أبو الخير، وغيرهم، وغيرهم.

لَلْقَطْعِ وَالتَّمْزِيقِ بِالسُّكَّانِ
 جَلَدٌ وَهُمْ فِي الْجَلْدِ أَهْلُ فُنُونِ
 فَالْكِيُّ بِالنَّيْرَانِ خَيْرٌ ضَمِينِ
 لَفْتِي بِأَيْدِي الْمُجْرِمِينَ رَهِينِ
 لَمْ يَسْمَعُوا لَتَاؤَهُ وَأَنْبِي
 فَأَبَى الْفَتَى إِلَّا اخْتِيَارَ مَنْوَنِ
 يَا إِخْوَتِي اسْتَشْهَدْتُ فَاحْتَسِبُونِي
 أَحْيَا حَيَاةَ الْحُرِّ لَا الْمَسْجُونِ
 فَالْيَأْسُ أَصْلُ الضَّعْفِ وَالتَّوَهُينِ
 أَنَا عِنْدَ خَالِقِي الَّذِي يَهْدِينِي
 جَدْلَانِ كَالْعُصْفُورِ بَيْنَ عُضُونِ
 مَا شِئْتُ فِيهَا مِنْ حَسَانِ عَيْنِ
 فِي اللَّهِ لَا فِي شَهْوَةِ وَمُجُونِ
 يَوْمًا عَلَى حُرْمَاتِهِ بَضِينِ
 عَنِّي «الْيَهُودَ» فَطَلَمَا خَبِرُونِي
 مُسْتَهْتَرِينَ كَأَنَّهُ ابْنُ لَبُونِ^(١) !
 تَلُّ الْمَقَطِّمْ وَهُوَ غَيْرُ بَطِينِ^(٢)
 سَارِينَ بَيْنَ مَقَاوِرِ وَحَزُونِ^(٣)
 فَعَدَا كَسْرٌ فِي الشَّرَى مَكْنُونِ

بَلْ عَلَّقُوهُ كَالذَّبِيحَةِ هَيْبَتِ
 وَتَهَجَّدُوا فِيهِ لَيْالِي كُلِّهَا
 فَإِذَا السَّيَاطُ عَجَزْنَ عَنْ انْطِاقِهِ
 وَمَضَتْ لَيْالٍ وَالْعَذَابُ مُسَجَّرٌ
 لَمْ يَعْبُثُوا بِجِرَاحِهِ وَصَدِيدِهَا
 قَالُوا: اعْتَرَفْ أَوْ مِتْ فَأَنْتَ مُخَيَّرٌ
 وَجَرَى الدَّمُ الدَّفَاقُ يَسْطُرُ فِي الشَّرَى
 لَا تَحْزَنُوا؟ إِنِّي لِرَبِّي ذَاهِبٌ
 وَامْضُوا عَلَى دَرْبِ الْهُدَى لَا تَيَاسُوا
 قُولُوا لِأُمِّي: لَا تَنُوحِي وَأَصْبِرِي
 أَنَا فِي رَبِّي الْفَرْدَوْسِ أَفْضَرُ شَادِيًا
 وَإِذَا حُرِمْتُ الْعُرْسَ فِي الدُّنْيَا فَلِي
 أُمَامَةٌ حَسْبُكَ أَنْ أَمُوتَ مُعَذَّبًا
 مَا خُنْتُ دِينِي أَوْ حِمَايَ وَلَمْ أَكُنْ
 فَلْيَسْأَلُوا عَنِّي «الْقَنَاءَةَ» وَيَسْأَلُوا
 سُحْقًا لِحَزَارِينَ كُمْ دَبَّحُوا فَتَى
 فَإِذَا قَضَى ذَهَبُوا بِجِحْتِهِ إِلَى
 لَقْوَهُ فِي ثَوْبِ الدُّجَى وَتَسَلَّلُوا
 وَارَوْهُ ثُمَّ مَحَوْا مَعَالِمَ رَمْسِهِ

(١) ابن اللبون: ابن الناقة ذات اللبن؛ وهو الذي أتم ستين، ودخل في الثالثة.

(٢) البطين: البعيد.

(٣) حزون: جمع حزن: ما غلظ من الأرض.

أَخْفَوهُ عَنْ عَيْنِ الْأَنَامِ وَمَا دَرَوْا
اللَّيْلُ يَشْهَدُ وَالْكَوَاكِبُ وَالثَّرَى
أَنَّ الْإِلَهَ يَرَاهُمْ بَعِيُونَ
وَكَفَى بِهِمْ شُهَدَاءَ يَوْمَ الدِّينِ

قَالُوا: مُحَاكِمَةٌ، فَقُلْتُ: رِوَايَةٌ
هِيَ شَرُّ مُهْزَلَةٍ وَمَأْسَاةٍ مَعَا
أَوْعَتْ سَجَلَاتُ الْقَضَاءِ قَضِيَّةٌ
الْخَصْمُ فِيهَا مُدْعٍ وَمُحَقِّقٌ
إِلَّا هَوَاهُ وَمَا يَدُورُ بِرَأْسِهِ
أَرَأَيْتَ مُحَكِّمَةً تَرَأْسَهَا امْرُؤٌ
أَرَأَيْتَ أَحْرَارًا رَمَوْا بِهِمُو لَدَى
وَالْوَيْلُ لَامْرِيءٍ اسْتَبَاحَ لِنَفْسِهِ
سَيَعُودُ «لِلْحَرَبِيِّ» يَأْخُذُ حَظَّهُ
أَعْطُوا لِمُخْرِجِهَا وَسَامَ فُنُونِ
قَدْ أَضْحَكْتَنِي مِثْلَ مَا تَبْكِينِي
كَقَضِيَّةِ «الْإِخْوَانِ»؟ أَيْنَ؟ أَرُونِي؟
وَهُوَ الَّذِي يَقْضِي بِلَا قَانُونِ
مِنْ خَلْطِ سَكِيرٍ وَرَأْيِ أَفِينِ
يَدْعُوهُ مَنْ عَرَفُوهُ «بِالْمَجْنُونِ»^(١)
قَاضٍ عَدِيمٍ دِينَهُ مَا بُونِ
إِظْهَارَ تَعْدِيبٍ وَدَفْعِ ظُنُونِ
وَجَزَاءَهُ الْأَوْقَى مِنْ «الْبَسِيُونِي»

أَنَا إِنْ نَسِيتُ فَلَسْتُ أَنْسَى لَيْلَةً
عُدْنَا الْمَسَاءَ مِنَ الْمُحَاكِمَةِ الَّتِي
مَا كَادَ يَعْرِوْنَا الْكُرَى حَتَّى دَعَا
فِي سَاحَةِ الْحَرَبِيِّ ذَاتَ شُجُونِ
كَأَنْتَ فُضُولُ فُكَاهَةِ وَمُجُونِ
دَاعِي الرَّدَى وَكَفَاكَ صَوْتُ أَمِينِ^(٢)

(١) هو البكباشي جمال سالم الذي دخل مستشفى الأمراض العقلية غير مرة، ثم عينه فرعون مصر ليحاكم قادة الدعوة الإسلامية؛ أمثال حسن الهضيبي، وعبدالقادر عودة، ومحمد فرغلي، ويوسف طلعت، وسيد قطب، وقد أقصاه فرعون بعد ذلك، ومن أعان ظلماً سلط عليه، سنة الله في خلقه.

(٢) أمين السيد: رقيب أول «باشجاويش» السجن الحربي، كان في يده سلطات مطلقة، ويستطيع أن يعذب إلى حد الموت، وكان يرى نفسه كأنه أحد قادة الثورة.

ذَا الْيَوْمِ مِنْ طَنْطَا إِلَى بَسْيُونِ
 لَيَرُوا يَقِينًا لَيْسَ بِالْمُظُنُّونِ
 فِي عَسْكَرِ شَاكِي السَّلَاحِ حَصِينِ
 وَكَأَنَّهُ عَمَّرُوا بِأَجْنَادِينِ
 فَغَرَّتْ لَنَا فَأَهَا كَفِي التَّنِينِ
 فِي وَقْتِ أَحْلَامِ وَأَنْ سَكُونِ
 لَهَبُ السَّيَاطِ شَكَتْ مِنَ التَّسْخِينِ
 عَرَقٌ تَصَبَّبَ مِثْلَ قَيْضِ عَيْونِ
 ضَرَبَاتِ صَوْتِ لِلْعَذَابِ مَهِينِ
 أَوْ عَلَّةِ دَاسُوهُ دَوَسَ الطَّيْنِ
 مِنْ فَرَطِ إِعْيَاءِ وَمِنْ تَوْهِينِ
 بِالسَّوْطِ مِنْ عَشْرِينَ لِلْخَمْسِينَ
 فِي الْعَدِّ وَالْإِتْقَانِ وَالْتِحْسِينِ
 مَا زَالَ صَوْتُ خَطِيبِهَا يُشْجِينِي
 يَتْرُكُ لِفِرْعَوْنَ وَلَا قَارُونَ
 أَنِّي أُعَذِّبُهُمْ هُنَا بِسُجُونِي
 كَلَّا، فَأَمْرُكُمْ أَنْتَهَى، وَسَلُونِي؟
 عَنْكُمْ وَعَنْ تَعْدِيكُمْ يُشْنِينِي؟
 مَنْ ذَا يُحَاسِبُ سُلْطَةَ الْقَانُونِ
 مَنْ ذَا يُخَالِفُنِي وَمَنْ يَعْصِينِي
 أَوْ شِئْتُ ذُقْتُمْ مِنْ عَذَابِي الْهُونِ
 وَإِذَا أَبَيْتُ فَذَآكَ طَوْعُ يَمِينِي

فَتَجَمَّعَ «الإِخْوَانُ» مِمَّنْ حُوكِمُوا
 أَمَا الْأَلَى سَيَحَاكِمُونَ فَأَحْضِرُوا
 وَإِذَا بِقَائِدِنَا الْمُظْفَرِ حَمْرَةَ
 حَشَدَ الْجُنُودِ وَصَفَّهَا بِمَهَارَةٍ
 وَأَحَاطْنَا بِبِنَادِقِ وَمُدَافِعِ
 طَائِيرُ «تَكْدِيرِ» ثَقِيلِ مُرْهَقِ
 نَعْدُو كَمَا تَعْدُو الطَّيَّاءُ يَسُوقُنَا
 وَمَضَتْ عَلَيْنَا سَاعَتَانِ وَكَلْنَا
 مِنْ خَرِّ إِغْمَاءٍ يُفِيقُ عَجَلًا عَلَى
 وَمَنْ ارْتَمَى فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْخُوخَةٍ
 لَمْ يَكْفِ حَمْرَةَ كُلُّ مَا نُؤْنَا بِهِ
 فَأَتَى يُوزَعُ بِالْمُفْرَقِ دُفْعَةً
 كُلُّ يَنَالُ نَصِيْبَهُ بِنَزَاهَةٍ
 وَإِذَا نَسِيْتُ فَلَسْتُ أَنْسَى خُطْبَةَ
 إِذْ قَالَ حَمْرَةَ - وَهُوَ مُنْتَفِخٌ - فَلَمْ
 أَيْنَ الْأَلَى اصْطَنَعُوا الْبُطُولَةَ وَأَدْعُوا
 أَظَنَنْتُمْ هَذَا يُخَفِّفُ عَنْكُمْ؟
 أَمْ تَحْسِبُونَ كَلَامَ أَلْفِ مِنْكُمْ
 إِنِّي هُنَا الْقَانُونُ، أَعْلَى سُلْطَةِ
 مُتَفَرِّدٍ فِي الْحُكْمِ دُونَ مُعَقَّبِ
 فَإِذَا أَرَدْتُ وَهَبْتُكُمْ حَرِيَّةً
 مَنْ مِنْكُمْ سَامَحْتُهُ فَبِرَحْمَتِي

مَوْتٌ بِلَا غُسْلِ وَلَا تَكْفِينِ
 أَبْنُو الْكِنَانَةِ أَمْ بَنُو صِهْيُونِ؟
 وَأَرَيْتَنَا أَفْكَارَ نَابُلْيُونِ؟
 بِجِهَادِكَ الدَّامِي صَلَاحَ الدِّينِ!
 فِي الْحَرْبِ جَمَاءَ بَغِيرِ قُرُونِ؟

وَمَنْ ابْتَغَى مَوْتًا فَهَا عِنْدِي لَهُ
 يَا فَارِسَ الْوَادِي وَقَائِدَ سَجْنِهِ
 هَلَّا ذَهَبْتَ إِلَى الْحُدُودِ حَمِيَّتَهَا
 اذْهَبْ لِعِزَّةٍ يَا هُمَامَ وَأَتْسِنَا
 أَفْضِدْنَا كَبِشُ النُّطَاحِ وَنَعْجَةَ

سَجْنًا وَبَاتَ الشَّعْبُ شَرًّا سَجِينِ
 أَمِنَ النَّضَارِ^(١) خُلِقْتَ أَمْ مِنْ طِينِ؟
 لَكَ دَائِنِينَ فَكُنْتَ شَرًّا مَدِينِ
 وَالذُّثْبُ لَمْ يَكُ سَاعَةً بِأَمِينِ
 شَرًّا وَحَقْدٌ فِي الصُّدُورِ دَفِينِ
 دُولٌ أُولَاتُ عَسَاكِرٍ وَحُصُونِ
 دَكًّا وَرُكْنُ الظُّلْمِ غَيْرُ رَكِينِ
 وَالْمَالِ بِالْآلَافِ وَالْمَلِيُونِ؟
 وَرِجَالَهَا فِي الْهَدْمِ لَا التَّكْوِينِ
 مَعَ غَيْرِ «جُنْ بُولِ» وَلَا «كُوَهِينِ»
 وَرَبِحْتَ غَيْرَ خَسَارَةَ الْمَغْبُونِ؟
 تَهْوِي بِهَا سَفْلًا إِلَى سَجِينِ
 جِسْرًا بِهِ نَرْقَى لِعَلِيْنِ
 وَدَقَّقْتَ إِسْفِينًا إِلَى إِسْفِينِ

قُلْ لِلَّذِي جَعَلَ الْكِنَانَةَ كُلَّهَا
 يَا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ فِي سُلْطَانِهِ
 يَا مَنْ أَسَاتَ لِكُلِّ مَنْ قَدْ أَحْسَنُوا
 يَا ذُثْبَ غَدْرِ نَصْبُوهُ رَاعِيَا
 يَا مَنْ زَرَعْتَ الشَّرَّ لَنْ تَجْنِي سَوَى
 سَيُزُولُ حُكْمُكَ يَا ظَلُومُ كَمَا انْقَضَتْ
 سَتَهُبُّ عَاصِفَةٌ تَدُكُ بِنَاءَهُ
 مَاذَا كَسَبْتَ وَقَدْ بَدَلْتَ مِنَ الْقَوَى
 أَرَهَقْتَ أَعْصَابَ الْبِلَادِ وَمَالَهَا
 وَأَدْرَتْ مَعْرَكَةً تَأْجِجُ نَارَهَا
 هَلْ عُدْتَ إِلَّا بِالْهَزِيمَةِ مَرَّةً
 وَحَفَرْتَ فِي كُلِّ الْقُلُوبِ مَعَاوِرًا
 وَبَنَيْتَ مِنْ أَشْلَانِنَا وَعِظَامِنَا
 وَصَنَعْتَ بِالْيَدِ نَعَشَ عَهْدِكَ طَائِعًا

وظننت دعوتنا تموت بضربة
 بليت سياتك والعزائم لم تزل
 إنا لعمري إن صممتنا برهة
 تالله ما الطغيان يهزم دعوة
 ضع في يدي القيد، ألهب أضلعي
 لن تستطيع حصار فكري ساعة
 فالنور في قلبي وقلبي في يدي
 سأعيش معتصماً بحبل عقيدتي

خابت ظنونك فهي شر ظنون
 منا كحد الصارم المسنون
 فالنار في البركان ذات كمن
 يوماً، وفي التاريخ بر يميني
 بالسوط، ضع عنقي على السكين!
 أو نزع إيماني ونور يقيني!
 ربي وربّي ناصري ومعيبي!
 وأموت مبتسماً ليحيا ديني!

* أديب الإسلام الشيخ سيد قطب وصدعه بالحق وحكايته مع الطاغية:

يعلم الله أنا نكتب هذه الترجمة إنصافاً لقدر الناس، وأني لا أريد عن
 مذهب السلف ومنهجهم قيد أمثلة.

وبالسلفية إعجابنا إذا قلّ بالسلف المعجب

ولي وقفات كثيرة مع الفكر القطبي وجماعة القطبيين وردود طويلة على
 كتاب «حد الإسلام» وبيانات لبدعهم.. ومع هذا أقول: إن للشيخ سيد قطب
 عبارات فيها استرسال وخاصة في مسائل التكفير وخاصة في تفسيره لسورة
 الأنعام في «الظلال» وهذه تحتاج لضبط سلفي، ونقدر مواقف الرجال
 وكلامهم يحتاج إلى روية وجمع لكلامهم المتفرق وأسلوب عف في النقد،
 مع بيان الخطأ والحيدة عن عقيدة السلف في كل صغيرة وكبيرة.. وليس من
 الإنصاف محاكمة الرجل على أنه عالم مدقق، وإنما الرجل يكتب بلسان
 الأديب وفيه استرسال فتبين خطاه ونقده فيه، ونذكر ما عنده من الصواب..
 ويوم أن قتل أثنى عليه علامة الزمان وشيخ العصر ابن باز، وأثنى عليه بعد
 ذلك الشيخ بكر أبو زيد، وأثنى على كلمات له الشيخ الألباني.. وكان يكفي